

الفصل السابع العقل الباطن

في عقلك الباطن
قوة خفية،
قادرة على تغيير
العالم.

وليام جيمس

عقل الإنسان ذو وجهين. فكل ما تكلمت عنه كان يتعلق بالوعي (العقل الظاهر). والآن، حان الوقت للتعرف على الجهة الأخرى للعقل - هي الناحية السرية والباطنية، العقل الباطن. وقدرة العقل الباطن مذهلة ببساطة. فمن المعروف أنه يراقب ويوجه كل وظائف الجهاز الإنساني الحياتية، من الدورة الدموية إلى التنفس والهضم. وقد أقرّ كذلك، أنه في العقل الباطن ينطبع كل ما يحدث مع الإنسان. ويسجل كل حدث في حياتنا، وتتصل به الأفكار والأحاسيس كذلك. والعقل الباطن، تحديداً، كثيراً ما يساعد الإنسان، موجهاً نشاطاته. وبواسطة البديهة، الأحلام، الأحاسيس والهواجس، يلقننا الأفكار والحلول الضرورية. وذات مرة، عندما يكتشف الإنسان هذه القوة المدهشة، فلن يكون من دون معين في أي حالة كانت.

وفي النهاية، فإن العقل الباطن يعتبر جهازاً تتسارع بمساعدته النبضات الذهنية المتكررة دورياً - الأحاسيس والانفعالات - وتتجسم في مكافئ مادي. وذهنياً، بإمكانك أن ترسخ، في عقلك الباطن، المخطط، الفكرة أو الإحساس، التي أردت لو أنها تجسمت، وسرعان ما تحصل، حتماً، على المكافئ المادي المقصود.

والعقل الباطن مثمر، وجاهز لخدمتك دائماً، غير أن القليلين فقط قادرين على استخدام قوته.

ولإظهار كيف أن الوعي والعقل الباطن يعملان معاً لتكوين الواقع المحيط، فأنا ألجأ من جديد إلى المشابهة. فالعقل الباطن يشبه التربة الخصبة، التي تقبل أيّ حبوب مزروعة فيها. وأفكارك وأراؤك هي البذور المزروعة في هذه التربة. وينمو فيها ما كان مزروعاً، كما تنمو السنبلّة من حبوب القمح. فما تزرع تحصد، هذا هو القانون.

تذكر أن الوعي - هو البستاني، ومهمتك - إدراك واختيار ما يجب أن يصل إلى بستاننا الداخلي. ولكن، وللأسف، فإن الأكثرية تشك، حتى في دور البستاني هذا، فلم يشرحه أحد لهم من قبل. ومن دون أن نمارس الاختيار، فنحن نسمح للبذور الجيدة كما السيئة بالتسرب إلى بستاننا الداخلي، أو ليست هي تعتبر سبب كل ما يحدث في حياتنا. وإذا ما أردت أن تعرف لماذا يحالفك الحظ أو عدم التوفيق في الحياة، فيجب النظر إلى هذا العالم الداخلي. والعقل الباطن ليس واضحاً، فهو يعكس الفشل، أو المرض أو الإخفاق، مع تلك الجاهزية. إنه حتى النجاح والازدهار، يعيد إنتاجها في حياتنا، أي ما رسخناه فيه. وهو يستوعب يقدم له، مع علاقة إيجابية أو سلبية، سبق تحضيرها، بذلك. وهو ليس مؤهلاً لتقويم الوضع، كما يفعل الوعي، ويبدأ معك نقاشاً.

وإذا كنت تريد تغيير حياتك، فيجب البحث عن سبب - وذلك، كأن تستخدم وعيك: أسلوب التفكير خاصتك والتبصر. وأنت لا تستطيع التفكير سلباً وإيجاباً في وقت واحد. ففي لحظة محددة، كثيراً ما يسود نوع واحد معين من التفكير. وأسلوب التفكير ينمو في العادة، لذلك يجب عليك مراقبة أن تكون الأفكار والتأثرات الإيجابية هي السائدة على السلبية.

ولكي نغير الظروف الخارجية، يلزمنا، بداية، تغيير الداخلية. فأكثرية الناس يحاولون تغيير الخارجية منها تحديداً. وإذا لم نتذكر الأفكار والقناعات، فإن تلك المحاولات لا تقود لشيء، أو أنها تعطي تأثيراً مؤقتاً فقط.

أدرك هذا، وینفتح أمامك طريق، واضح بصفاء الكريستال، إلى حياة أفضل. أكثر التفكير بالنجاح، السعادة، الصحة، السلامة وأبعد التوتر والخوف من أفكارك. ودع وعيك ينشغل بتوقع الأفضل، وعند ذلك اهتم بأن تكون أفكارك المعتادة قد تولت ما تريد أخذه من الحياة.

وهنا، يمكن أن يأتي لمساعدتك «قانون العادة» فأعد تفعيل عادة التمرين واستخدام الأساليب، المدونة في هذا الكتاب، لديك يومياً. ولا تقرأ فصلاً تلو الآخر ببساطة، بل اجعل الطرائق المدونة هنا جزءاً من حياتك.

فالماء يأخذ شكل الوعاء الموجود فيه، وليكن ذلك كأساً، إبريقاً أو مجرى نهر. وكذلك بالضبط عقلك الباطن سوف يبدع، بغض النظر عن ماهية الأشكال التي ستضعها فيه بواسطة أفكارك اليومية. وهكذا يخلق مصيرك. فحياتك بين يديك، وباستطاعتك جعلها تلك، التي تتمناها.

التزامن

من المفيد الفهم أن العقل الباطن يعطيك دائماً ما تتمناه دائماً، ويظهره لك كل يوم، ذهنياً، ما إن تبدأ التغييرات السعيدة بالحدوث في حياتك. و «شريكك» الداخلي القوي سيجمعك مع الناس ويدفعك إلى الظروف الضرورية لتحقيق أهدافك. و «الألف يد الخفية»، كما يسميهم جوزيف كيمبل، ستأتي إليك للمساعدة. وغير المطلع يمكن أن يظهر أن التزام هو نتيجة توافق بسيط أو توفيق ما، إلا أن التزام لا يملك أي شيء مشتركاً، لا مع هذا ولا مع ذلك، في حقيقة الأمر وإنما هو نتيجة أداء وظيفي للقوانين الطبيعية، التي تبدأ بالعمل تحت تأثير أفكارك. وأنا أشرح مبدأ عملهم. ففي بداية الكتاب كتبت إن كل الواقع المادي يتألف من ذرات الطاقة. ونحن نعيش ضمن نسيج عنكبوت طاقي عملاق. وعندما تبدأ تخزين الوضع على النجاح في عقلك الباطن، فهذا يُسبب صدى الطاقة في كل مراحل توليدها. والعقل الباطن يستوعب، بشكل دائم، اهتزازات طاقة النجاح، ساحباً إليك الناس والأحداث الضرورية لتحقيق أهدافك. ويجدر إضافة، أنه مع هذا النجاح، فإن العقل الباطن قد يجتذب الفشل أيضاً. فهو لا يفرق ولا يفرز الأفكار وإنما يعمل، فقط، مع تلك الأمنيات، الآمال والمخاوف، التي تتكون في عقلك.

ولحسن الحظ، إن الناس يبدؤون الإمعان في قوانين العالم المادي والقوانين، التي تخضع للعقل البشري. وقبل عدة سنوات، كانت تبدو غير ممكنة، فكرة أننا نستطيع جذب وتكوين الواقع بمساعدة الأفكار، أما اليوم، فإن النظرة إلى هذه المشكلة قد تغيرت، والناس يعرفون كيف تسيير هذه العملية. وكان أفكارنا خترات طاقة (المقصود هنا القناعات المتكررة أكثر من مرة، التصورات، وجهات النظر والأمنيات فقط) تؤثر على الواقع. وبالمناسبة، إذا ما توقفت وأمعنت النظر في هذا، فإنك ستدرك، إنه كل شيء في العالم على اتصال متبادل، ولا يمكن أن يكون العكس.

وأريد أن أكرر مرة أخرى هذه الفكرة المهمة جداً، فعندما تقرر نفسك، ذهنياً، مع ذلك الشيء الإيجابي. الذي تريد الفوز به في الواقع، فإن عقلك الباطن يضبط الأمور وفق ذلك. وشكل الفكرة المعتاد، والذي يملك، لديك، أنماطاً تفكيرية تخلق من حولك واقعاً يصوغ مصيرك الذي لا مثيل له.

والطبيعة تساعدنا بطريقة غريبة، ونحن قد نقبل جزءاً ضئيلاً من مساعدتها. غير أنه يمكن تغيير هذا الوضع، لذلك ينبغي أن تفهم قوانين حياتك وكيفية عمل هذه القوانين لديك، منها أنت تبدأ باستقبالها بارتياح. ومباشرة من اليوم ابدأ بإرساء أفكار عما تتمناه في عقلك الباطن. وإذا لم يكن هناك شيء يلهيك عن هذه العملية، ففي غضون وقت قصير ستلاحظ بدهشة وابتهاج كيف تفتح أمامك أبواب التزامن. وبالمناسبة، فالباحث هيمالايف ف. خ. ميوري يتكلم عن هذا، كما يلي: «عندما يستأمن شخص نفسه للعناية الإلهية، فهي لن تبقى في حالة اللامبالاة». فقد تجري مع الإنسان أشياء لم تحدث معه من قبل، وهو لم يقم بها. وينهال عليه سيل من الأحداث، التي تستدعي الناس لمساعدته، أحداث من كل نوع تلزمه المساعدة المادية، التي لم يحسب هو حسابها».

فإذا ما أدركت هذه الحقيقة، فستفتح لك كنوز الكون. وعقلك الباطن الجبار ينتظر أوامرك.